

## لغتنا عالمية

ليست اللغة كلمات، أو جملًا تقال للتعبير عن أحاسيسنا، أو مشاعرنا، أو رغباتنا، أو أدلة للتواصل مع الآخرين، بل هي هوية يُعرف بها المتكلم، وهي ولاء وانتماء مجموعات من الناس إلى مكان ما، أو إلى أمة من الأمم. بل هي شأن أعظم من ذلك كله كما عبر عنها الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر (ت 1976) بقوله: " إن لغتي هي مسكنى، وهي موطنني ومستقربي، وهي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتصاريسه، ومن نوافذهها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع ".

والدول القوية تحترم لغاتها القومية، وتحرص عليها أشد الحرص، فأحد الرؤساء الفرنسيين أيام الاستعمار الفرنسي على العالم العربي يقول: " علموهم الفرنسية حتى يشتروا بضائع فرنسية ". فالفرنسي والألماني يرفضان التحدث بغير لغتيهما في بلادهما، وتوجد غرامة مالية على من يستخدم غير الفرن西ة في المكاتب الرسمية. ومن نافلة القول أن سياسي بعض الدول، مثل: إيران، و الكيان الصهيوني، و تركيا، واليابان يرفضون التحدث في المؤتمرات و المحافل الدولية بغير لغات بلادهم مع إجادتهم اللغة الإنجليزية !

وحين توسيع الخلافة الإسلامية في نهاية القرن الهجري الأول اكتسحت اللغة العربية اللغات الأخرى، فأصبحت لغة العلم و الحضارة، واللغة الرسمية للعالم حتى غيرت بعض الشعوب التي أسلمت أبجديتها إلى الأبجدية العربية، مثل: اللغات الفارسية والأوردو التركية - التي استبدلتها بالحروف اللاتينية في القرن العشرين \_ و حين حكم المسلمين الأندلس حرم الأندلسيون والأوروبيون على تعلم لغتنا، و هذه سنة الحياة إذ الشعوب الضعيفة تتعلم لغة المستعمر أو المسيطر القوي عليها. ولقد حاول الأتراك العثمانيون تطبيق العرب، وكذلك فرنسا التي احتلت الجزائر 132 عاما حاولت تفريسها، و وحاولت إيطاليا في ليبيا فرض الإيطالية، و بريطانيا فرض الإنجليزية، و جميعهم باؤوا بالفشل؛ لاعتراض العرب بلغتهم، وأنها لغة الإسلام والقرآن تحمل القداسة، ولا تتم الصلاة بغيرها. وحاربها بعض المستشرقين بأنها لغة صعبة، ودعوا إلى كتابتها بالحروف اللاتينية.

ويا ليت الحرب على لغتنا توقفت على المستعمرين أو المستشرقين حتى حوربت من بعض أبنائها، خاصة الذين درسوا في أوروبا، فقد ادعى بعضهم أنها لغة غير مفهومة لل العامة، و حامدة لا تقبل المصطلحات الأجنبية الجديدة، ولا يوجد بديل لها في العربية، ودعوا إلى استبدال الفصحى بالعامية قراءة وكتابة، و منهم الشاعر اللبناني سعيد عقل، فأنبرى لهم شاعر النيل حافظ إبراهيم بقصidته العصماء: " اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها " قالا:

رجعت لنفسي فا تهمت حصا تي

و نادیت قومی فاہتسبیت حیا تی

وفي الأربعينيات والخمسينيات والستينيات الميلادية من القرن المنصرم شهدت العربية صعوداً قوياً بنبوغ ثلاثة من علمائها وأدباً منها، أمثال مصطفى صادق الرافعي وطه حسين، وبزوج فجر القومية العربية، وأنها الكيان الجديد الذي سيوحد العرب بعد أن تفرقوا شذر مذر.

إن واقع لغتنا اليوم مزريٌ حيث طفت العامية على حيَا تنا العامة باستخدام الكلمات الأجنبية كدليل على الحداثة، والتطور، وكذلك على وسائل ما يسمى بوسائل التواصل الاجتماعي ووسائل، الإعلام المرئية والمسموعة، وحتى على البرامج الحوارية العلمية والأدبية، والاهتمام المبالغ فيه بالشعر الشعبي على حساب الفصيح. وليت شعرى أن مد العامية توقف عند هذا الحد بل تعداده إلى التعليم مع وجود بند في وزارات التربية والتعليم، وزارات التعليم العالي يفرض استخدام الفصحى في التعليم. وهناك تخصصات في جامعتنا العربية: مثل: الطب والهندسة تُدرس بالإنجليزية والفرنسية، وكذلك بعض المؤتمرات التي تعقد في بلادنا لغتها الأساسية الإنجليزية، مثل: المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي يعقد سنوياً في الرياض! ليت شعرى كنا قبل ظهور الإنترنٍت نتحسّر على حال لغتنا، لكننا الآن نرثي لحالها بفعل بعض أبنائنا الذين تمادوا في إهمالها بدراسة اللغات الأجنبية، وطعّموا أحديّتهم ببعض الكلمات الإنجليزية خاصة معتقدين أو طاينين أن ذلك تقدم وتطور، حتى أصبح من يتحدث بالفصحى مثيراً للضحك والسخرية، وقدم لنا التلفزيون والسينما مواداً حواراتها تتندّر على لغتنا! إن جولة واحدة في أي شارع عربي وقراءة لوحات المحلات تصيب من يغار على لغتنا بالدوار والألم والحسرة، وعدم المبالاة من عامة العرب!

إن لغتنا لغة حية متطورة تواكب المتغيرات، و تستوعب الكلمات الأجنبية بعد تعربيها، فنحن نفهم الشعر الجاهلي الآن بعكس بعض اللغات التي لا يفهم المعاصرون ما كتبه أسلافهم قبل عدة قرون. فالإنجليز الآن لا يفهمون ما كتبه شكسبير إلا بشق الأنفس!

إن من أهمية لغتنا أن جعلتها الأمم المتحدة لغة رسمية ضمن لغاتها الست في 18 ديسمبر 1973. ولقد قادت المملكة العربية السعودية بمشاركة المملكة المغربية جهوداً دبلوماسية حثيثة في الأمم لجعل اليوم الثامن عشر من ديسمبر يوماً عالمياً، فتم ذلك في عام 2010.

إن لغتنا لغة الشعر والفنون، علينا أن نعتز ونهتم بها، ونعيدها إلى منزلتها الائقة باستدامها فصيحة مبسطة في حياتنا العامة، وفي وسائل الإعلام والتعليم، وتبسيطها للعامة والطلاب، وسن قوانين لحمايتها، وأن تكون هما شعبياً لكل عربي، وجعلها من العوامل التي توحد العرب، ومن العوامل التي تقربنا بإخواننا المسلمين. ومسك الختام مقولة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز- حفظه الله- عن اللغة العربية: " إن لغتنا العربية لغة حضارة وثقافة، وقبل ذلك لغة الدين القويم، ومن هنا فإنها لغة عالمية كبرى شملت المعتقدات والثقافات والحضارات، ودخلت في مختلف المجتمعات العالمية، وهي مثال اللغة الحية التي تؤثر وتتأثر بغيرها من اللغات ".

